رواية

لأني يتيمة

أمينة الرهبل

◇جَميع الحقوق محفوظة لدى اللوتِس كريبتيف.

●العِنوان: لأني يتيمة.
○المؤلِف: أمينة الهبل.
●التصنيف: رواية.
○عدد الصفحات:56.
●تأريخ الإصدار: 9\5\2025.
○الناشِر: اللوتِس كريبتيف للنشر والتنسيق.
●تدقيق لُغوي وتصميم الغلاف:هَاجَر المَجيدي.
○إخراج داخلي: لوتِس كريبتيف للنشر والتنسيق.

يُمنع إقتصاص أيّ جُزء مِن هذا الكُتيب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجهُ بأي شكل إلا بموافقة الناشِر والمؤلِف

الإهداء

إِلى كل يتيمة
تشعر بالوحدةِ والضُعف
هذا ليس ذنبك
هذه مشيئةِ الله
أنكِ يتيمة ليس عيبًا ولا جريمة
العيب والجُرم على أولئك ضعفاء النفوس
العيب في أولئك الذئاب
أولئك المرضى النفسيين
الذين يستغلون عجزك كقوةٍ لهم

الفصل الأول

عندما تكونُ يتيمًا، كأنهم يُعاقبونك على يُتمِك،
كأنهم ينتقمون منك لأنك أصبحتَ عبئًا عليهم.
يُلقونك في دوّامةٍ من الحيرةِ والضياع،
فتسأل نفسك باستمرار:
هل كان ذنبي أنني يتيم؟
وهل اليُتمُ جُرمٌ أُعاقَبُ عليه؟

الفصل الثاني

أبطالُ روايتِنا:

إلين، طفلةٌ لا تعرف من الدنيا سوى الضحك ومُداعبة والدها.

هيثم، والد إلين.

سامر، عمّها الأكبر.

بيسان، زوجة عمّها الأكبر.

يوسف، عمّها الأصغر.

بُثينة، زوجة عمّها الأصغر.

الفصل الثالث

كانت تلعب وتقهقه، ودويُّ ضحكتها عمَّ أرجاء الحي.

الجميع يُحبُّها، ويسعدُ بفرحها.

كانت كالأميرات تركض، وتتطلّع بين الحين والآخر إلى الطريق،

حيثُ يعود والدها من دوامه.

وفجأة، رأت من اشتاقت إليه عيناها...

نعم، والدها!

صرخت بفرح، ثم توقّفت فجأة، وتجمّد جسدها.

دبّ الخوف في نفوس سكّان الحي، والتفت الجميع نحوها،

فوجدوها متصلبة المُقلتين، جامدة النظرات.

نظروا إلى حيث كانت تنظر،

فرأوا ما لم يودّوا رؤيته...

الفصل الرابع

كان مرميًّا على الأرض، تتطاير الأوراق من حوله.

ركض الجميعُ نحوه بخوفٍ وهلع،

اقترب منه أحد السُكّان لعلّه مغشيٌّ عليه،

لكنّ يدَيه كانتا متحجّرتين،

وغصّت العبرة في حلق الرجل، فلم يستطع إخبارهم بالمصيبة.

لكنّ الجميع فهم ما حدث،

وخنقتهم العَبرة.

في تلك الأثناء،

تشبّثت إلين بقدم أحدهم قائلة:

" عمي، دع أبي ينهض... أنا أنتظرُه بفارغِ الصبر ليلعبَ معي!"

لا إجابة..

الحزن مُخيّم على المكان،

والصمتُ سيّدُ الموقف

الفصل الخامس

ما زالت إلين تُصِرّ على هذا وذاك أن يوقظوا والدَها،
ولا إجابة.
شعرت بالكسر، وامتلأت بالضجر،
فركضت بعيدًا، تُطلق آخر كلماتها:
"لن أُخاطب أحدًا! كلكم تسمحون له بالنوم،
بدلًا من أن تُنصحوه بالنهوض واللعب معي!"

وما إن ابتعدت عن الأنظار،
حتى خارت قوى عمّها،
وسقط على الأرض يبكي بحرقة على أخيه الذي رحل في غمضةِ عين،
وعلى حال ابنتِه الصغيرة، التي لم تُدرِك بعد ما الذي حدث للتو.

بكى وبكى،
وتجمّع الناس حوله، يُواسونه،
ويقولون له:
"ليس الآن وقت البكاء... عليك أن تكون قويًّا، وتُحسن التصرف بما يجب."

الفصل السادس

هناك، بعيدًا عن ضجيج الحي، داخل ذلك السور الواسع الذي يضم سكانًا آخرين، كانت أميرتنا "إلين" تجلس بجوار قبر والدتها.

أوه يا إلهي، لا اعتراض على حكمك.

نعم، عزيزي القارئ... إلين بلا أم، فقد فارقت والدتها الحياة وهي لم تبلغ العامين بعد، وقد عاهد والدها نفسه أن يرعاها، أن يعوّضها عن حنان الأم، أن لا يدعها تحتاج لشيء ولا يحزنها شيء...

لكنه لم يكن يعلم أن للقدر مشيئة أخرى.

الفصل السابع

جلست تبكي وتشكو والدها لوالدتها، قائلة:

" لقد كذب أبي عليكِ يا أمي... قال إنّه لن يُحزنني، وإنه سيلعب معي بعد أن يُطعمني حتى أتعب وأنام.

كان يقول هذا حين أسأله عنكِ، ويقول إنكِ مختبئة في أحضان السماء، وإنّ الله يحبكِ، لذلك ذهب بكِ، وأنه عندما يحين دورنا سنكون معكِ وسنلعب سويًا هناك.

وقال إنه قطع لكِ وعدًا بأنه سيحافظ عليّ...

لكن، أتدرين ماذا فعل اليوم؟

لقد نـــــــــــام في الشارع... وسط الحي!

تجمّع الناس حوله، لكنه رفض النهوض!

لقد تركتهم وجئت إليكِ... سأنام هنا، ولن أعود معه إلى المنزل".

الفصل الثامن

كان يوسف يستمع لكلماتها البريئة، وكأن خنجرًا مسمومًا يقطع فؤاده،
يبكي بحرقة، يراقب حركاتها العفوية وهي تضم يديها وتعبس بوجهها... دلالة على غضبها الطفولي.
أراد أن يقترب، لكن قدميه شعرتا بثقل رهيب، وكأن الأرض قد شدّتهما.
انتظر قليلًا... ثم أخيرًا استجمع قواه، ومشى نحوها، ربّت على كتفيها الصغيرين، واحتضنها بين ذراعيه،
وبدأ يتلو عليها ما تيسّر من القرآن حتى نامت...
عدل جلسته، ووضعها فوقه، وبقي هناك...

الفصل التاسع

في منزلٍ آخر من منازل الحي، كانت النيران تشتعل في داخله... نيران الحزن والفقد،
كانت النساء يدخلن لتعزيتها، بينما هي في عالم آخر، كأنها كرة نار توشك أن تنفجر وتُحرق العالم بأكمله.
وفي الاتجاه المقابل، كانت أميرتنا تبدأ بالتململ، كأنها تفيق من غفوتها.
أول ما فتحت عينيها وجلست، سألت عن والدها.
ومنذ ذلك الوقت، بدأ يوسف بتنفيذ واجبه، وعندما انتهى من شرح الحقيقة لها، أمسك بيدها وأخذها إلى منزله.

الفصل العاشر

عندما طرق الباب، قفزت بثينة وهرعت لفتحه، ورسمت على وجهها علامات الحزن المصطنع.
،فتحت الباب وسحبت إلين إلى حضنها، مدعية البكاء والتنهّد
همس يوسف في أذنها: "كُفّي يا بثينة، لا تُذعري الطفلة بالنواح".
قالت مجاملة: "آآآه... أعتذر عزيزي، لم أستطع السيطرة على مشاعري".
ورغم صغر سن إلين، كانت ذكية بما يكفي لتستنكر مشاعر زوجة عمها، لكنها سايرت الموقف بصمت.
دخلت المنزل، وتحدث يوسف إلى زوجته:
" لا أوصيكِ يا بثينة بوصية رسول الله... أنا ذاهب إلى دوامي، أطعمي الصغيرة جيدًا، وجهزي لها الغرفة برفقة ابنتنا.
ودعي (مجد) ينام في غرفة الاستقبال".

أومأت بثينة برأسها حتى خرج، ثم أغلقت الباب، وهمست لنفسها:

"من اليوم... لم أعُد سيدة هذا الدار. لقد أصبحتُ خادمة هذه المُشرّدة".

الفصل الحادي عشر

بدأت بثينة تُجهّز فراشًا ووسادة لأميرتنا... ليس في غرفة أبنائها، لاا!

أين تتوقعون أنها وضعت تلك "المُشرّدة" – على حد قولها؟

نعم، لقد فرشت لها أرض المطبخ!

قد تتعجبون وتقولون: "أهذا كثير؟" لكنها ترى إلين فتاة دخيلة، يتيمة، بائسة... ومنحوسة.

وما كان يُغظها أكثر أن عمها يحبها، يُعاملها كأميرة، وكأنها مغطاة بالذهب والثروة.

كانت تحدث نفسها بمرارة: "لماذا رفض أخوه الأكبر أن يأخذها؟ أليس هو الأحق بها؟ هو ميسور أكثر..."

انشغلت بثينة بحقدها، وأحرقت عقلها وهي تُجهز منام الطفلة.

الفصل الثاني عشر

وأخيرًا، أنهت بثينة تجهيز منام إلين؛ حصيرةٌ مهترئة، ووسادةٌ
.من ملابس قديمة ومتسخة

.نادت على إلين، فحضرت

قالت لها: "هنا ستنامين، لأن مجد رفض ترك غرفته. كما
".تعلمين، أنتِ دخيلة وتحتاجين لبعض الوقت ليعتادوا وجودك

.تأثرت إلين بتلك الكلمة... "دخيلة"، لكنها تجاوزتها

:وهمّت بالخروج من المطبخ، لكن بثينة استدارت فجأة وقالت

يمكنكِ النوم، لا تنتظري العشاء عبثًا. عمكِ اشترى القليل من "
".ّالعدس، صنعتُ حساءً بالكاد يسد رمقي ورمق طفلي

".أجابت إلين: "لا عليكِ، لستُ جائعة، أشعر بالنعاس

حملت بثينة ثلاثة أطباق، ولما همّت بالخروج، التفتت مجددًا
:وقالت

إياكِ أن تخبري عمّك بما حصل! يكفي أنكِ عبءٌ عليه، فلا "
.تُضيفي إلى همومه أكاذيب

ما قلته لكِ هو واقعنا، ويكفي أنكِ وجدتِ مكانًا تُخفين فيه رأسكِ من الناس.

"!أنتِ فتاة مشؤومة، منبوذة، قضيتِ على والديك

ثم غادرت، وقد تركت إلين مُحرقة بكلماتها.

نعم، لقد كانت كرةً من نار، كما أخبرتكم.

ورغم طُهر عقل وقلب إلين، وصل السم إلى قلبها الصغير.

الأفعى لم تلدغ بعد، لكنها نفثت سمها من بعيد، وها هي الدموع ترسم خطين حزينين على وجنتيها الورديتين.

لا تبكي يا عزيزتي، ما زال الطريق في بدايته، وهذا مجرد أول نفثة... لا أول لدغة.

الفصل الثالث عشر

سرقها النوم... أكثر من يحبها، حين رأى كم أرهقتها كلمة "مشؤومة".

راحت تسأل في نفسها: ما معنى "مشؤومة"؟

يا الله، ماذا فعلتِ يا بثينة؟

إلين لا تعي حتى معنى هذه الكلمة القذرة التي خرجت من فمك!

لكن المهم أنها غطّت في نومٍ عميق.

وعندما أتى الصباح، دخلت بثينة المطبخ فوجدت إلين مستيقظة لكنها ما زالت مستلقية في فراشها.

قالت بسخرية:

"أوووه، لقد فاقت سمو الأميرة باكرًا، هه.

هيّا، انهضي ونظّفي المطبخ، سأُجهّز الإفطار، عمك سيعود الآن.

أم أنكِ تُريدين أن تأكلي على الجاهز؟"

ردّت إلين بصوت مرتعش:

"لا... لا، أنا فقط لم أكن أعلم ما الذي يجب عليّ فعله."

الفصل الرابع عشر

انتهت من التنظيف، وبدأت بثينة بتحضير الفطور، وطرق يوسف الباب.

عندما انتهت، ذهبت ركضًا وفتحته واستقبلته بابتسامتها المُزيّفة.

وبمجرد دخوله، سأل عن إلين، فاشتعلت بثينة غضبًا، وتجاوزها وهو ينادي ابنة قلبه: "إلين!"

خرجت من المطبخ وهي تتظاهر بالتماسك، لكن قلبه الطيّب شعر بكسرها، فهرول إليها، واحتضنها وقبّلها:
"ما بكِ يا جميلتي؟!"

أجابت:

"لا شيء... فقط أفتقد أمي وأبي... هل يمكنني زيارتهما؟"

قال:

" بالتأكيد يا أميرتي، دعينا نغسل ونجلس إلى المائدة، وبعدها سأصطحبك."

اعتذرت من عمّها بأنها لا ترغب في الأكل الآن، وبأنها ستأكل عندما تعود.

غادرت المكان، والتفت إلى زوجته وسألها:

"أم أن أولادكِ أحزنوا الصغيرة؟"

طفح الكيل عند بثينة، لكنها تماسكت وسايرت الموقف وهي تتوعّد لإلين في نفسها...

أجابت مُعاتبة، وهي تتمايع:

"عيبٌ عليك يا عزيزي... أأنا سأدعهم يعبثون معها؟! هي فقط حزينة على ما أصابها... ومن المؤكد أنها ترى نفسها فتاةً مشوؤــــ"

لم يدعها تُكمل الكلمة. وضع يده على فمها، ورفع إصبع يده الأخرى في وجهها مهددًا:

"إياكِ، إياكِ أن تلفظي هذه الكلمة مرة أخرى. هذه المرة أغلقتُ فمك قبل إكمالها، وفي المرة القادمة سأرميكِ خارجًا قبل أن تكمليها أيضًا."

تركها وذهب إلى غرفته، لكنه لا يعلم بأنه أحرق ابنة قلبه دون علمٍ منه.

الفصل الخامس عشر

بعد أن بدّل ملابسه، خرج من الغرفة وتوجه إلى إلين وأخذها، وما إن غادرا، حتى قامت القيامة في المنزل.

كسرت ودمرت، وبدأت تضرب رأسها وتتوعد، وتصرخ قائلة:

"ابنةُ ياسمين، من أول يوم دخلت فيه المنزل، هدّدني يوسف بأنه سيُطلقني!
وأنا من ظننتُ بأنه نسي الماضي، وبأنه أحبني بصدق.
لكن كيف له أن ينسى محبوبة قلبه؟ وهذه اللعينة تشبهها كثيرًا!
أخيرًا كشفتِ لنا سركِ يا مريضة النفس!
أيعقل أنكِ تُعاقبين المسكينة لمجرد أن زوجكِ كان يحب والدتها التي أصبحت زوجة أخيه؟!

إيا للكِ من شيطانة!"

سأكتب لكم تفاصيل حب يوسف السابقة...

كان يوسف يدرس في نفس الجامعة مع ياسمين، وكان يحبها، لكنه لم يُفصح لها عمّا في قلبه قط...

الفصل السادس عشر

كان ليوسف أخت تكبرهم جميعًا، لم أذكرها في بداية الرواية لأنها توفيت في أول ربيع عمرها. لم يتوجّب عليّ ذكر الموتى، لكن الشيطانة بثينة ذكّرتني بماضي يوسف... فضُطررت لذكرها.

المهم أن يوسف لم يُصرّح بحبّه لياسمين، لكنه لم يستطع كتمانه وحده، فباح لأخته بذلك.
بثينة كانت تكنُّ له الحب، وعندما لمّحت لأخته بذلك، أخبرتها بأنه يحب ياسمين.
لم تكن نية المسكينة حينها أن تُشي به، لكنها لم تحتمل أن تتأمّل بثينة في يوسف وينكسر خاطرها.

مرّت الأيام، وقرّر والداه أن يخطبوا لأخيه هيثم، والد إلين.

شاء القدر، وكانت ياسمين اختيار والدته. فتقدّموا لها، ووافق أهلها.

منذ أن علم يوسف بالموضوع، قرر أن يمحوها من قلبه، وأن يعتبرها أخته، ويدعو لأخيه بالهناء برفقتها.

بثينة كانت تحلّق في السماء، وتحمد الله لأنه قدّم لها هذه الفرصة.
قررت أن تلقي شباكها على يوسف، لكن كيف؟؟

كان الحظ حليفها — حسب قولها — عندما توفيت أخت يوسف...

الفصل السابع عشر

استغلّت بثينة الحزن الذي أصاب والدته، وتقربت منها وتوددت إليها، إلى أن صادتها بشباكها وكلماتها المعسولة، وطلبت من يوسف أن يتزوجها.
فأطاع كلمة والدته وتزوّجها.

عودة إلى الوقت الحالي...

بثينة تجاوزت أن إلين هي ابنة أخيه، ما عَلِق في رأسها فقط أنها ابنة حبيبته.
الشيطان أعمى قلبها بالغيرة لدرجة أنه أنساها أن المرأة التي تشتعل منها غيرة قد تركت لها الحياة ورحلت.

رغم أن يوسف أحبها بعد الزواج، ولم ترَ منه سوى الحب والاحترام، إلا أن مجرّد معرفتها بسِرّه ـــ الذي يظن هو أنه

دُفن مع أخته ـــ كان كفيلًا بحرقها في كل مرّة تنظر فيها إلى إلين.

هدأت بعد أن تطاير شرارها قليلًا، ورتّبت المنزل.

عاد يوسف وإلين من المقبرة، دخل غرفته وغطّ في نومٍ عميق،
لكن ما إن حلّ المساء، ذهب إلى عمله...

وبدأت معاناة إلين التي لن تنتهي...

الفصل الثامن عشر

انتهت الإجازة الصيفية وأعلنت المدارس عن بدء التسجيل. يوسف جهز أبناء أخيه وأولاده بكل مستلزمات مدرستهم وألحقهم بالمدرسة التي كانوا يدرسون فيها سابقًا.

استقبلت المديرة والمدرسات إلين بحفاوة وحب، لأنها فتاة مجتهدة ومتفوقة. زاد حبهم وحنانهم لها أكثر من السابق لأنها أصبحت يتيمة. الكل كان يتسابق لإسعادها. كانت فرحتها لا توصف وتمنت أن لا ينتهي هذا اليوم، لكنه - مع الأسف - انتهى كغيره من الأيام التي كانت تنتهي بالرغم من مرارتها وصعوبتها. لكن سرعان ما يأتي منقذها ليأخذها في رحلة الأحلام.

عادت إلى المنزل برفقة أبناء عمها، ولم تلبث أن غيرت ملابسها المدرسية حتى جاءت الأفعى لتنفث سمها عليها.

بدلت ملابسها بسرعة وخرجت لتقوم بأعمال لم تستوعبها بعد.

كانت يديها الناعمتين تقوم بكل أعمال المنزل...

الفصل التاسع عشر

آه، آه، ليتها تتلذذ بتعذيبها جسديًا.
لكن بثينة كانت حاقدة لدرجة أنها فهمت أن عقاب الجسد سيزول، وهي لا تريد لذلك أن يحدث. لذلك كانت تعذبها نفسيًا ومعنويًا. تمضي الأيام والشهور والسنوات، ويزداد حقد بثينة وتكاثر كلما زاد حب يوسف لإلين.
أما إلين، فما يحدث معها من إهمال وتعذيب نفسي ومحاربة لكي تهمل دروسها، ما زادها إلا جمالًا وعلمًا.
كل عام تكبر فيه تزداد جمالًا وتشبه أمها أكثر، وكل ما يشغلها عن دراستها يزيدها ذكاء.
لكن مهما كان تحمل المرء، فلكل إنسان طاقة لحد معين، وإلين كانت عند هذا الحد. لقد قررت الفرار...

الفصل العشرون

كتبت إلين في ورقة صغيرة رسالة لزوجة عمها. كان محتوى الرسالة:

"ماذا كان ذنبي في ما أصابني؟ إذا أراد الله ولتقينا، أتمنى أن تكوني قد جهزتِ الجواب، لأنني حقًا سأعيش بحيرة هذا السؤال ما حييت".

طوت الورقة ووضعتها على رف الأواني، لكي لا يراها أحد سوى بثينة، لأن المطبخ لا يدخله سوى هما الاثنتان.

إبنتها كالأميرات لا تفعل شيئًا سوى العناية بالمكياج والاهتمام بالإتيكيت.

دعونا من ذلك، ولنواصل طريقنا مع إلين. خرجت وهي لا تعلم إلى أين تتجه، لكنها توكلت على الله وقررت أن تبني لنفسها حياة بعيدة عن تعجرف بثينة.

رغم علمها أن عمها لم يكن ليقبل بما يحدث معها لو كان على علم، إلا أنها كانت تكتم جرحها لكي لا تحرم أبناء عمها من أمهم. لا أحد يفهم الحرمان من الأم أكثر منها.

بينما كانت تسير، اصطدمت بإمرأة تبدو شابة. صفنت فيها قليلاً ثم أجفلت عينيها وفتحت فمها قائلة:

"أوه، كم تشبهين أمكِ، يا صغيرتي!"، وانهمرت دموعها.

أما أميرتنا فكانت مصدومة ولم تفهم شيئًا. احتضنتها المرأة وقبلتها وشدتها لصدرها تارةً، وأرخاها تارة أخرى، وأخيرًا قالت:

"أأنتِ ابنة ياسمين، أم أنني فقط شبهتك بها؟"

أجابت إلين: "نعم".

قالت: "حبيبتي، أمكِ كانت أختي وأعز صديقة. كانت طيبة وخدومة. كم عانيتُ في محنتي ووقفت بجانبي".

سكتت ودموعها تنهمر بحرقة، ثم أضافت:

"ما هذه الحقيبة بيدكِ؟ أين كنتِ وإلى أين أنتِ ذاهبة؟"

الفصل الواحد والعشرون

تلعثمت إلين ثم قالت:

"أريد أن أذهب إلى منزل عمي سامر."

على الرغم من أنها لم تكن تنوي ذلك، ولم تكن تعرف مكانه، فهي في منطقة، ومنزل سامر في منطقة أخرى بعيدة جدًا.

قهقهت صديقة أمها وقالت:

" لابد أنكِ تمزحين يا صغيرتي. يا لكِ من فتاة شقية! لابد أنكِ تظنين أن كل شيء لعبة، وتريدين أن تلعبي مع أبناء عمكِ سامر لأنهم أكثر من أبناء عمكِ يوسف. لذلك هربتِ دون علم عمكِ. وإلا ما كان ليسمح لكِ بالخروج بمفردك."

لقد وقعت إلين في حفرة ولم تعرف كيف تتخلص من هذا الموقف، لأنها لا تريد العودة إلى ذلك المنزل.

سحبتها من يدها وهي تضحك وتقول:

" لقد أمسكتُ بكِ، أيتها المشاكسة! لابد أن يوسف وبثينة جن جنونهما لفقدكِ."

الكل كان يظن أن بثينة تحب إلين، لأن هذا ما كانت تظهره.

إلين في نفسها:

"يا إلهي، كيف سأتخلص من هذه الورطة؟ من أين ظهرتِ أنتِ؟"

وبينما كانت تسحبها، استوقفهم صوت رجل كبير في السن نوعًا ما...

الفصل الثاني والعشرون

وقفتا، واقترب منهما الرجل وقال:

"هل أنتِ إلين؟"

أجابت: "نعم! ومن أنت، وكيف عرفتني؟"

قال الرجل:

" ألم يخبركِ عمكِ سامر حين اتصل بكِ البارحة أنه سيبعث لكِ رجل مسن عند نهاية الطريق ليأخذكِ إليه، لأن عمكِ يوسف منشغل هذه الفترة؟"

ارتبكت إلين وخافت، لأنه لم يحدث شيء مما قاله، لكنها في تلك اللحظة لم تكن تريد سوى التخلص من المرأة التي ستعيدها إلى المنزل.

إلين: "نعم، نعم، هذا ما كنت أريد أن أخبركِ به، يا خالتي العزيزة، لكنكِ لم تتركي المجال".

تركت المرأة يدها وعانقتها ودعت لها بالتوفيق، ثم سار كل منهم في طريقه.

مشت برفقته إلى أن وصلوا إلى الطريق العام، فقالت:

"لا أعلم من أين تعرف تفاصيل حياتي، لكن اليوم كنت كالخضر بالنسبة لي. شكرًا لك".

همّت بالذهاب، فتوقف الرجل وقال:

"أنا لست الخضر، ولا أعلم عن حياتكِ إلا ما أراد عمكِ سامر أن أعلم به. أنا هنا، يا جميلتي، أراقب كل تحركاتكِ منذ أن عشتِ في ذلك المنزل بأمر من السيد سامر. هذا ما يمكنني قوله لكِ حاليًا، إلا أن تلتقي بعمكِ، ستفهمين كل شيء..."

الفصل الثالث والعشرون

ركبا سيارة أجرة وشقا طريقهما إلى مكان عيش سامر. وعندما وصلا، استقبلت إلين استقبالًا حارًا وفخمًا، كأنها أميرة تصعد إلى قصرها. كان الجميع فرحًا بقدومها وينتظرها عند بوابة الفيلا الضخمة.

في الجانب الآخر، استفاقت بثينة من نومها ودخلت المطبخ. لم ترَ إلين، فاستغربت لكنها لم تهتم. مدت يدها إلى علبة القهوة فسقطت منها ورقة. فتحتها وقرأت ما فيها، لكنها لم تُحرك لها ساكنًا. تلك الكلمات التي تذيب الحجر لم تؤثر عليها. وضعت الورقة على النار وأحرقتها وكأن شيئًا لم يكن. لكن سرعان ما ظهر الخوف والقلق على وجهها عندما تذكرت يوسف. ماذا ستجيبه عندما يسأل عن الفتاة؟ فموعد عودته قد اقترب...

في منزل سامر، كان يحضنها ويُمسد على شعرها ويخبرها أنه منذ البداية لم يرتح لزوجة أخيه ولم يكن يود بقاءها هناك، لكنه خشي أن يحزن أخوه لأنه ذو كبرياء، سيظن أنه يحتقره لأنه

فقير. لذلك، تركها في رعايته عندما أراد هو ذلك قائلًا له: "أنا أعيش في المنطقة التي تعيش فيها إلين وتعرفني أكثر مما تعرفك. وبعد وفاة أخينا، من الواجب عليّ رعايتها لأن هذه هي بيئتها، وأنا ليس لدي سوى طفلين، وستكون إلين ثالثتهما."

فجأة جلست إلين وقالت: "عمي، الآن موعد عودة عمي من عمله، لابد أنه يبحث عني وسيسبب مشكلة بينه وبين زوجته."

سامر: "دعكِ عزيزتي، سأنتظر قليلاً ثم سأتصل. أنا أريد أن يعاقب عمك زوجته على لؤمها."

إلين: "لا يا عمي، لو كنت أريد أن يعاقبها عمي، لكنت فعلت ذلك منذ زمن، لكنها في النهاية أم أبناء عمي. هم كانوا يحبونني ويحزنون من معاملة والدتهم، لكنها تسكتهم دائمًا، وكنت أتوسل لهم لكي لا يُخبروا عمي."

الفصل الرابع والعشرون

كان يوسف قد أشعل المنزل وقلبه رأسًا على عقب، ورمى لبثينة كل أغراضها وطردها لأنها لم تستطع الحفاظ على إلين. وكان مجد وأخته يراقبان بحزن، على المرحلة التي أوصلت والدتهما إليها.

رن الهاتف في الوقت الذي أوشكت فيه بثينة على فتح الباب لمغادرة المنزل. فتح مجد الخط وكانت المتصلة إلين. فرح مجد لسماع صوتها وأعطى السماعة لأبيه.

إلين: "كيف حالك عمي الغالي؟ أين زوجة عمي؟ أرجو أنني لم أتأخر. لابد أنك تلومها على ذهابي، لكنها ليس لها ذنب. أنا فقط أردت أن أذهب دون أن تعلم لأنك تظن أنني أريد الذهاب لأنك مقصر في حقي. لكن اعلم يا عزيزي أنه لا أحد سيفعل مثلما فعلت. لقد عاملتني أفضل من أبناءك دائمًا، والآن أردت أن أجعلك تؤدي واجبك تجاه أبناءك لأنك دائمًا كنت منشغلاً بي."

الفصل الخامس والعشرون

مرت الأيام والشهور، وإلين تُعامل معاملة الأميرات، وسامر وبيسان وأولادهما يحبونها ويدللونها.

أما بثينة، فهي تعيش مع زوجها وأولادها كأن شيئًا لم يكن. وما فعلته إلين لكي تحافظ على زواجها من عمها لم يزدها إلا كرهًا وحقدًا.

في يوم من الأيام، وبينما كانت ذاهبة للسوق لشراء احتياجات المنزل، كان يوسف برفقتها. تعرضا لحادث توفيّا فيه...

الفصل السادس والعشرون

انتقل مجد وأخته إلى منزل عمهم سامر بعد انتهاء العزاء. أما بيسان، التي كانت كالملاك مع إلين، فقد عاملت جود بكل قسوة كأنها تنتقم لإلين من أفعال أمها.
روح بثينة كانت تتعذب وهي ترى ابنتها تسقى من نفس الكأس الذي سقت منه تلك المسكينة. كانت تجرحها بنفس الكلمات. وعندما يقول لها أبناءها "كفي عن ذلك يا أمي، ما ذنبها بأنها يتيمة؟"، تجيبهم بيسان: "وماذا كان ذنب إلين عندما فقدت أهلها بمشيئة القدر؟ لم ترعاها، ولامتها دائمًا بذنب ليس عليها".
تمر الأيام، وروح بثينة تحترق على ابنتها وهي تذوق نفس العذاب النفسي الذي مرت به إلين. لكنها لا تستطيع تغيير الواقع لأن هذا العذاب لها وليس لإبنتها.

الفصل السابع والعشرون

كانت مفزوعة وتصرخ وتتمتم بكلمات غير مفهومة وتضرب نفسها، لكنها كانت تشعر بأنها مقيدة ولا تستطيع النهوض من ذلك الكابوس. كان يضربها على خدها برفق، وهي ما زالت في حالتها، حتى صفعها بقوة.

أفاقت وهي تصرخ: "لا! لا! أرجوكِ يا بيسان، جود ليس لها ذنب. عاقبيني أنا!" ونهارت تبكي.

من هذه؟ يا ترى...

إنها بثينة. نعم، هي لم تُصاب بحادث ولا شيء. في تلك الليلة، مرض يوسف بشدة وغاب عن عمله، وظلت هي ساهرة فوق رأسه حتى غلبها النعاس. رأت هذا الحلم المفزع.

هذه رسالة إلهية لكِ يا عزيزتي، أرجو أنكِ تلقيتِ الدرس.

لكن ماذا ستفعل بتساؤلات يوسف الآن؟ الذي هو الآخر استيقظ فزعًا، لكنه أصبح يشك في وجود أمر خطير وراء هذا الحلم،

لأن بثينة عندما أفاقت وهي تهلوس، ذكرت بوضوح بيسان
وابنتها جود وذنبًا وما شابه...
هو لم يستوعب، لكن الشك يأكل نفسه. وعندما تجلست وبدت
أنها هادئة، بدأ استجواب يوسف...

الفصل الثامن والعشرون

في بداية الأمر، قررت التزام الصمت، لكن يوسف لم يتركها وشأنها. لم يمنحها فرصة لتلتقط أنفاسها، حتى دخلت في نوبة بكاءٍ منهار، وسردت له القصة كاملة وهي تتوسل إليه وتتأسف، مرة بعد مرة، بينما تراقب عروق وجهه التي بدأت تبرز من شدة الغضب، وينهرها كلما توسلت إليه، قائلًا:

"كفى عن التوسل والتملق، تابعي! لم تستمعي لرجاء ابنة أخي الطفلة، كيييف تريدين مني الاستماع إليك؟!"

ورغم أن الغضب كان يملأ قلبه ويطغى على ملامحه، فإن غيمته لم تصمد طويلًا أمام العاصفة العاطفية التي اجتاحتها. هطلت أمطارها بغزارة، ففقد السيطرة على نفسه، وسحبها أرضًا، ثم رمى بكل ما يخصها خارج المنزل وهو يصرخ:

"سأدعكِ تذوقين ما ذاقته ابنة أخي. سأحرمك من أبنائك، ولن تريهم حتى في أحلامك!"

ظلت عند الباب تتوسل، لكن دون جدوى. نهضت، ومضت إلى منزل عائلتها وهي تجر أذيال الخيبة والحسرة، تتمنى لو عاد بها الزمن لتُصلح ما أفسدت. لكن هذا حال الدنيا... فحبل الكذب قصير.

من ستلومين الآن؟ من ظننتها عدوّتك كانت تحاول جاهدة أن تخفي سرك، واليوم أصبحتِ أنتِ العدو الوحيد لنفسك.

مرت الأيام بحلوها ومرّها على جميع أبطالنا، وخلالها لم تتوقف إلين عن التوسل لعمها كي يسامح زوجته، لكن دون جدوى.

وبينما كانت الحياة تمضي، بدأت معالم الأنوثة والجمال الساحر تتفتح في أميرتنا، بدت كلوحة فنية فائقة الجمال تمشي على قدميها.

إلى أن جاءت ليلة كانت من أبشع ليالي عمرها...
حدث فيها لإلين ما لو عاشت ألف عام، لما نسيته.

الفصل التاسع والعشرون

كانت منكبة على كتبها، تذاكر بتركيز، تشعر بصداع شديد يهتك عظام رأسها. في تلك الليلة، قرر سامر أن يأخذ عائلته لتناول العشاء في أحد المطاعم، يتنزهون قليلًا ثم يعودون.

دخل عليها عمها وأخبرها بالأمر، فقالت:
"أرجو أن تعذرني، لدي امتحان غدًا ولم أنهِ دراستي بعد، اذهبوا أنتم وسأغلق الباب على نفسي حتى تعودوا."

قال سامر بابتسامة:
"لا، عزيزتي، سنؤجل النزهة حتى تنتهي من الامتحان."

كان الجميع في الغرفة وأيّدوا قرار والدهم، فجميعهم يحبون إلين، ما عدا قصي، الابن الأكبر لسامر، الذي كان يراقب بصمت من بعيد.

لكن إلين أصرّت وترجتهم أن يكملوا خطتهم.

تدخل قصي قائلًا:

"أبي، أنا أيضًا لدي مناقصة مهمة غدًا وأحتاج أن أنام باكرًا، اذهبوا أنتم وسأنام هنا، ومنه أكون مع إلين."

أخيرًا، اقتنعوا بكلامه وذهبوا.

مرت نصف ساعة، وإلين منهمكة في الدراسة. دق قصي الباب، نهضت وفتحته، وقالت:

"خيرًا يا قصي، هل تريد أن أصنع لك شيئًا؟"

قال بنبرة مريبة:

"لا... أنا أريدكِ أنت!"

الفصل الثلاثون

دفع الباب بقوة، وبدأ بالهجوم على ابنة عمه بكل وحشية، دون رحمة لتوسلاتها.
كان الشيطان قرينه، أو ربما هو الشيطان ذاته في تلك اللحظة.
خارت قواها، ولم تعد تقوى على المقاومة في مواجهة ذلك الوحش الهائج.

هتك شرفها بلا شفقة ولا خجل، كذئب فرغ لتوّه من إلتهام فريسته.
تركها غارقة في آلامها وبكائها، ثم خرج مسرعًا، وقد جهّز أغراض هروبه خارج البلد بعد أن اختلس مبلغًا ضخمًا من شركة والده دون علمه.

هرب اللئيم، تاركًا خلفه تلك اليتيمة المسكينة بعد أن سلب منها الشيء الوحيد الذي كانت تملكه في حياتها.

نهضت، تبكي بكاء هستيريًا، تحاول الانتحار...
لكن القدر شاء أن يمنحها عمرًا جديدًا، سعيدًا كان أو حزينًا.
سقطت مغشيًا عليها.

الفصل الواحد والثلاثون

شعر يوسف بوخزات في قلبه وضيق شديد، فاتصل بأخيه سامر ليسأله عن إلين. لاحظ سامر نبرة القلق في صوت أخيه، فألحّ عليه أن يخبره بما يقلقه.

أجابه يوسف: "لا تقلق، فقط اشتقت لإلين".

قال سامر مطمئنًا: "لا تقلق عزيزي، إلين بخير، وغدًا إن شاء الله سنأتي لزيارتك".

أنهيا الاتصال، لكن القلق في قلب سامر تضاعف، إذ كان يشعر باضطراب غريب منذ ساعات، وظل يستعيذ بالله، غير مدرك لما ينتظرهم.

قرر العودة إلى المنزل. وما إن دخلوا غرفة إلين حتى سقطت عليهم الصاعقة.

كانت الفتاة ملقاة على الأرض، الجروح تملأ جسدها، وملابسها ممزقة.

جثت بيسان على ركبتيها واحتضنت رأسها بذهول، تتذكر كلمات قصي حين أخبرها بحبه لإلين، وطلب منها أن تسألها إن كانت تبادله المشاعر.

يومها، ردّت إلين بحزم: "أحبه جدًا، لكنه مثل أخي الكبير، ولا يمكن أن يكون أكثر من ذلك."

أخبرت بيسان ابنها بردها، فصاح: "إذا لم تكن لي، فلن تكون لغيري!"

نهرته والدته وقالت: "أنا أمامك! إن وقفت في طريق سعادتها فلن أسامحك، حبها لك كأخ أفضل من زواج تُجبَر عليه."

الفصل الثاني والثلاثون

شعرت بيسان وكأن الأرض تدور بها، واسودّت الدنيا في عينيها، فصرخت بحرقة:

"قصيييبي! أين أنت أيها الوضيع؟! أين أنت أيها المريض النفسي؟!"

التفت الجميع نحوها مذهولين، علامات الذهول ترتسم على وجوههم!

نهضت تركض في أنحاء المنزل تبحث عنه كالمجنونة، لكن دون جدوى، فقد نفذ خطته منذ زمن.

إلين كانت في حال يُرثى لها، وبيسان لم تكن أفضل حالًا، إذ ظلت تلوم نفسها مرارًا، رغم أن الجميع أخبروها بأنها لا تتحمل ذنب ما حدث.

بعد شهرين من العلاج والدعم النفسي الذي قدمه عمها، بدأت إلين تتعافى تدريجيًا.

وظلت بيسان تدعو على ابنها وتبكي كلما تذكرت ما حدث.

وبمرور عامين، تجاوزت إلين أزمتها.
جاء يوسف، ومعه بثينة، ليطلبا يدها للزواج.
كان يوسف يحبها منذ الطفولة، وبثينة كانت تتمنى تعويضها
عمّا مرّت به، لتريح ضميرها الجريح.
تمت الخطبة، وبدأت تحضيرات الزفاف وسط فرحة الجميع.

النهاية
بقلم: أمينة الهبل

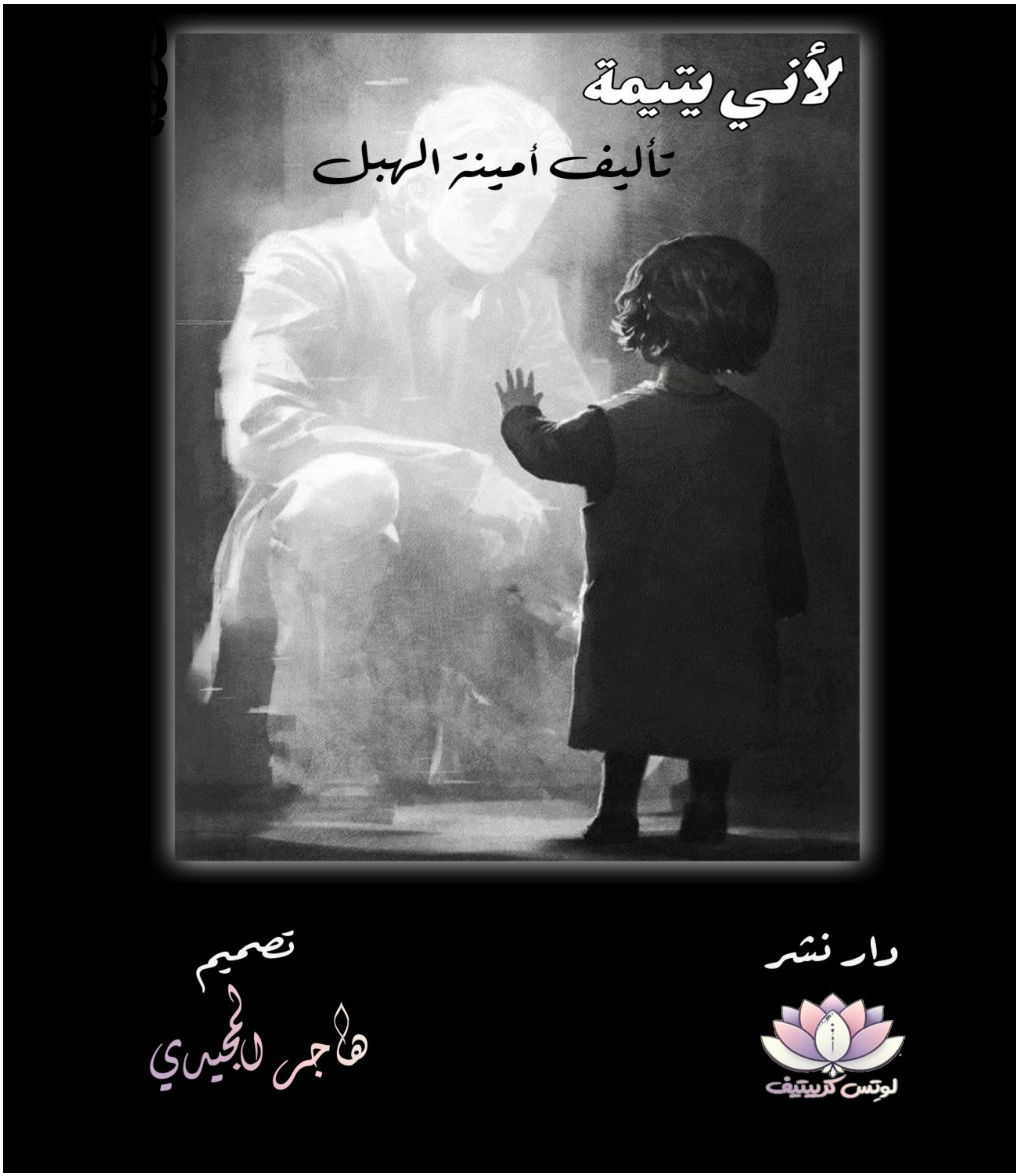
لأني يتيمة
تأليف أمينة الهبل
دار نشر
لوتس كرييتيف
تصميم
هاجر المجيدي